

شرفاها بها ، والله الابن ليتصرف معها بطريقة عادية كي لا يجعلها تلفت الأنظار .

كثير من العجائب الفائقة الطبيعة جعلت لوسيفورس يضطرب بعد أن سمحت له العناية الإلهية أن ينهض من انهياره في الصحراء . فعقد في مقره الملهب اجتماعاً تأمرياً ، حيث عرض مخاوفه من مجيء الكلمة المتجسد واخذ مع أعوانه القرار باضطهاد يسوع ويوحنا لأبعد الحدود ، هما اللذين يمكن أن يكون احدهما المسيح المنتظر !

وبتحريض منه ذهب الفريسيون يسالون القديس السابق بمكر أن لم يكن هو المسيح . وجعله جوابه المليء حكمة يخزى ويضطرب أكثر فأكثر . ولكي يثار منه أوحى إلى هيرودس بكره مميته ليوحنا ، واستعملت هذه المرأة التي لا قلب لها ، سلطتها على الرجل الشهواني هيرودس ، وحملته أولاً على سجنه وبعدئذٍ على قطع رأسه .

ورأت العذراء مريم الكلية القداسة في نفس ابنها أن يوحنا المعمدان يقترب من الموت ، فخرت على قدميه وسألته بكثير من الدموع ، أن يساعد سابقه القديس . فأجابها المخلص بان صلاته كانت مستحبة لديه . وللحال حُمل الواحد والأخرى بطريقة غير منظورة إلى السجن حيث كان يوحنا مكبلاً فوجداه مثخناً بالجراح ، لان هيروديا كانت قد أمرت ستة من خدامها بجلده دون رحمة ، على أمل أن تتخلص منه بهذه الطريقة . وقد تعرض لمثل هذا العذاب ثلاث مرات ، وبقي على قيد الحياة . فبأي إعجاب وفرح رأى المعمدان الفادي الإلهي وأمه الوقور متألفين

إن مجد معجزاتها الخارقة ضروري أن يفيض عليها والمؤمنون الجدد سيهنئونها جميعاً باین كهذا ولكن بدلاً من أن تفرح بهذا المديح كانت تنسحق باحتقار ذاتها ، وتصلي ليسوع المسيح أن يحول عنها كل شرف . فرفعت إليه هذه الصلاة بالذات عندما اخبروه وهو وسط الجموع الحماسية ، بان أمه وأقاربه يريدون أن يروه ، وعندما صرخت امرأة في عمق إعجابها بهذه الكلمات : " طوبى للبطن الذي حملك " .

فضيلة التواضع هذه كانت بنظرها ضرورية جداً حتى أنها لم تكن تكتفي بممارستها هي بتمام الكمال ولكن كانت توصي أيضاً الرسل بالتخلي بها ، وكان يجب أن لا ينسبوا إلى ذواتهم الفضل ، ولكن يعودوا في ذلك إلى الله وحده . وما هم ليسوا إلا أدوات . كما إن شرف الرسم لا يعود إلى الريشة أو شرف النصر إلى السيف بل إلى الفنان وللجندي اللذين استعملهما .

وبينما كان الرسل في انتظار إرسالهم إلى العالم لدعوته إلى الإنجيل ، كان معلمهم الإلهي يتابع التبشير وصنع المعجزات . وأضاف إلى ذلك سرّ المعمودية الذي كان يمنحه بواسطة رسله . وكانت العذراء الكلية القداسة شاهدة على هذه الولادات الروحية . وتعبّر الله عن شكرها كما لو كانت قد قبلت هي نفسها هذه النعم بشكل أنها بهذه الممارسة التي يسهل التشبه بها كثيراً ، كانت تزيد